بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله سبحانه وتعالى وبحمده، وصلاة على رسوله وسلامًا، ورضوانًا على صحابته وتابعيهم حتى نلقاهم.

أما بعد، فالصحابة – رضوان الله عليهم – هم نموذج الإسلام التطبيقي، فيهم ظهر منهج القرآن والسنة عمليًّا؛ يتحرك بهم في الناس، وتنادي تعاليمه: هذا هو المقصود والمراد من الأخبار والأحكام.

هذه الثلة المؤمنة اختارها الله تعالى لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم مِن بين العالمين، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: **"إن الله نظر في قلوب العباد، فاختار محمدًا صلى الله عليه وسلم، فبعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد فاختار له أصحابًا، فجعلهم أنصار دينه ووزراء نبيه، فما رآه المسلمون حسنًا فهو عند الله حسن وما رآه المسلمون قبيحًا فهو عند الله قبيح"**.

ومن ثم كانوا أسوة المؤمنين الذين أتوا مِن بعدهم ويأتون إلى يوم الدين، قال تعالى: {**فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا**}، {**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**}، وقال رسول الله ﷺ: «**اقتدوا باللذَين من بعدي: أبو بكر وعمر**»، «**.. فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي**»، «**.. وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما توعَد..**».

وعن ابن مسعود رضي الله عنه: **"من كان مستنًّا فليستنَّ بمن قد مات فإن الحي لا تؤمَن عليه**

الفتنة، أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا أفضل هذه الأمة، أبرّها قلوبًا وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم، ولإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم على آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيَرهم، فإنهم كانوا على الهدي المستقيم".

وصحابة النبي صلى الله عليه وسلم الذين أكرمهم الله تعالى بهذا الاختيار والصحبة والرؤية، وحباهم بالإيمان والتقوى والمروءة وسمو الأخلاق والترفع عن سفاسف الأمور.. يجب أن يكونوا محلَّ تقدير كلِّ مسلم ومسلمة، فهم الذين قال الله لهم: {**وكذلك جعلناكم أمة وسطًا لتكونوا شهداء على الناس..**}، {**كنتم خير أمة أخرجت للناس..**}، ثم يأتي من بعدهم فلا يوصف بذلك إلا أن يكون مقتديًا بهم.

وهم الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **خير الناس قرني..**"، " **إن الله اختار أصحابي على العالمين، سوى النبيين والمرسلين**" وهذا مثال القدوة كالقمر أو النجم في السماء يرغب كل من يراه أن يكون في مكانه ولا تزول هذه الرغبة أبدًا من قلبه.

إن الأمة جميعًا مدينة لهذا الجيل بجميل كبير يطوِّق عنقها: فهم الذين بلَّغوها الدين استجابة لقول الله تعالى: {**وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ**}، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: " **ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب**"، وتحملوا من مشاق في الأقوال والأفعال والأحوال ما تنوء به الجبال، ولهذا أمرها الله تعالى بالاستغفار لهم فقال: { **والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك**

رءوف رحيم}، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: **"لا تسبوا أصحابي، لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما أدرك مد أحدهم، ولا نصيفه"**.

نعم والله لمشهد شهده رجل يغبّر فيه وجهه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من عمل أحد من الأمة بعدهم، ولو عمِّر عمْر نوح عليه السلام، كما قال سعيد بن زيد رضي الله عنه، وعلى هذا أجمعت الأمة إلا من شذ ممن لا يعتد بخلافهم.

بل لو لم يكن ذلك الإجماع ولم يرد ما سبقه من النصوص لكانت الحال التي كانوا عليها – رضوان الله عليهم – من العلم والعمل والهجرة والجهاد والنصرة وبذل المهج والأموال وقتل الآباء والأولاد، والمناصحة في الدين، وقوة الإيمان واليقين.. كافية في القطع بفضلهم وعلو منزلتهم ووجوب محبتهم وضرورة اتباعهم.

يستوي الصحب الكرام في شرف أصل الصحبة ثم يتفاوتون – بعد ذلك – في الفضل والشرف والرتبة والمكانة وسائر خصال الخير التي حباهم الله بها وهداهم إليها.

ومن هنا كان ترتيبهم في الفضل: العشرة المبشرون بالجنة، ثم أهل بدر، ثم أهل أحد، ثم أهل بيعة الرضوان، ثم أهل الفتح، ثم من جاء بعدهم من الصحابة رضوان الله عليهم.

ويأتي في مقدمة العشرة المبشرين بالجنة: الخلفاء الأربعة قبل بقيتهم. ويأتي ترتيب الأربعة على هذا النحو: أبو بكر، فعمر، فعثمان، فعلي رضي الله عنهم أجمعين.

والكلام في الصحابة رضي الله عنهم طويل عذب، تحبه القلوب وتهواه النفوس وتميل إليه العقول، ومن ثم كثرت المؤلفات فيه في كل جيل وتنافس الكتَّاب في التصنيف عنهم بكل لغة.

***

قرأت هذا الكتاب المبارك "**مشاعل الهداية.. رجال ونساء حول الرسول** ﷺ"، وقد تناولت فيه الكاتبة الكريمة الأستاذة حنان الشيمي - بارك الله علمها وتقبل عملها وكتب أجرها - سيرة (٩٠) من الصحابة الكرام، فيهم عدد (٢٩) من الرجال وعدد (٦١) من النساء، بدأت بالنساء وجعلت في مقدمتهن زوجات النبي صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين ثم بنات النبي صلى الله عليه وسلم).

ويتميز الكتاب بأسلوب واضح، ومفردات قريبة، وتراكيب سهلة، وترتيب حسن، وجامعيَّة تأتي على مشهور أخبار المترجَم له قدر الإمكان، مع إيجاز غير مخل، واعتماد على الأحاديث والآثار في حدود المقبول قدر المستطاع، وانتقاء الشخصيات التي قدمتها لقرائها، وإبراز مواضع القدوة في سيَرهم بما يحتمله الكتاب، وحرص على تفقير هذه السيَر تفقيرًا موضوعيًّا مناسبًا ومشوّقًا بحسب الوسع.

وقد قدَّمَت الأستاذة الكاتبة بين يدَي ذلك بمقدّمة قصيرة بيَّنت فيها - بكلمات قلائل -: مكانة الصحابة وفضلهم، وأهمية العلم بأخبارهم، وثمار التمسك بها، وعوائد ذلك على الأمة خاصة في باب التربية.

نفع الله بها، وتقبل عملها، وبلغ كلمتها، وكتب أجرها، وضاعف ثوابها.

***

وقبل أن أضع القلم أحبُّ أن أشير في هذا التقديم إلى عدة أمور، أراها من الأهمية بمكان في هذا الموضوع المبارك:

- **الأول**: إنَّ مثالية مجتمع الصحابة رضي الله عنهم لم تمنع أن يكون فيهم مَن يضعف إيمانه وتزِلَّ بسبب ذلك الضعف قدمه في الصغائر أو الكبائر وربما فوق ذلك، فليسوا معصومين من المعاصي أو محفوظين من السهو أو منزهين عن الغلط. لكن معظم أولئك العصاة والمذنبين قد ضربوا للأمة أروع المثل في التوبة والرجوع إلى الله تعالى، فكانوا بعدها خيرًا منهم قبلها، وما قصة ماعز ببعيد، وقد قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: "**لقد تاب توبة لو تابها أهل المدينة لقُبِل منهم**"، وقال صلى الله عليه وسلم: "**لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لوسعتهم**"، ومثله الغامدية، وقد قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم: "لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم، وهل وجدتَ توبة أفضل من أن جادت بنفسها لله"، وقال صلى الله عليه وسلم: "**والذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مَكس لغُفِر له**". ولا ريب أن العلم بهذا له أثر في حفظ النفوس عن اليأس والإحباط، وحثها على السعي - رغم القصور والعوائق - إلى نيل المعالي.
- **الثاني**: إن جيل الصحابة رضوان الله عليهم جيل فريد بمجموعه، وليس بأفراده، الأمر الذي ينبغي أن لا يؤيس العاملين من الجد والاجتهاد في العلم والعمل والدعوة لبلوغ مثل

مكانتهم ولو في بعض هذه الجوانب، من أفراد يكونون قدوة للجيل، وذلك في كل جيل من أجيال الأمة.

وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى: {**ثلة من الأولين وقليل من الآخرين**}، ومن أجل هذا لما قال الصحابي للنبي صلى الله عليه وسلم - عن السبعين ألفًا -: "**ادع الله أن يجعلني منهم**".. قال له النبي صلى الله عليه وسلم: "**سبقك بها عكاشة**" ليسد صلى الله عليه وسلم الباب على السائلين ويبقى التنافس على هذه المقاعد بين أفراد الأمة جميعهم إلى يوم الدين.

وقد كان التابعي الجليل أبو مسلم الخولاني يجتهد في العبادة ويقول: "أيظن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أن يستأثروا به دوننا؟ كلا، والله لنزاحمنهم عليه زحامًا حتى يعلموا أنهم قد خلَّفوا وراءهم رجالاً"، فليعمل العاملون وليضربوا من أنفسهم المثل لمن معهم، فإن "**الدال على الخير كفاعله**"، و "من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة"، و "**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيء**".

- **الثالث**: قد توفر للصحابة رضوان الله الله عليهم عوامل تجعل تجربتهم مكتملة فريدة غير قابلة للتكرار، ومن هذه العوامل الأمور الثلاثة التالية:

١) وجود رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم معلمًا ومربيًا وقائدًا ولن يبلغ شأوه صلى الله عليه وسلم أحد بعده.

٢) ووجودهم في أول هذه الأمة بعد زمن الجاهلية ولا يمكن أن يتكرر ذلك الأمر – جاهلية جهلاء ثم مطلع نور الإسلام – مرة أخرى.

٣) وأن منهج تلقي الصحابة رضوان الله عليهم لهذا الدين مختلف عن منهج تلقي من جاء بعدهم له فقد عملوا على أخذ العمل بالدين كله بلا فرق بين واجب ومستحب وترك العمل بما يخالفه كله بلا فرق بين محرم ومكروه – وهم يعلمون الفروق بينها تمام العلم –؛ {**ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة**}، " كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة أن نقع في الحرام"، " **كنا ندع سبعين بابًا من الحلال مخافة أن نقع في باب من الحرام**".

وهذا معناه أن جيل الصحابة – بمجموعه – لن يتكرر، ومن ثم فإن توفر مثلهم ليس شرطًا في نصر الله للأمة والتمكين لها، بل يكفي أن يكون في الجيل من أجيال الأمة يسعى إلى النصر من يحافظ على فعل الواجبات وترك المحرمات وهؤلاء يجب أن يكونوا معظمهم ومن ينافس في فعل المستحبات وترك المكروهات وهؤلاء بعضهم، على أن يكون الدين ظاهرًا وكلمته قائمة.

ومن شأن هذا أن يجعلنا نتوجه إلى دعوة الناس إلى فعل الخير وترك الشر بغير تشديد عليهم فيما بعد التزام الواجب والمحرم إلا بالترغيب والحث والحض، وإن لهذه النظرة فوائد في الإيمان والفكر والسلوك تحفظ القلوب والعقول والجوارح.

أكتفي بهذا القدر، وفي الجعبة الكثير، فإن الكلام في الصحب الكرام يثير الآمال، ويبعث الأفكار، ويهدي إلى اتباع أقوم السبل، أسأل الله تعالى أن يقنعنا بمنهجهم وأن يسلك بنا في سبيلهم وأن يحقق لنا مآثرهم وأن يكتب لنا وأن يجمعنا بهم في منازلهم، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اقتفى أثره إلى يوم الدين.

أحمد الجوهري عبد الجواد